أدب الإعلام أو إعلامية الأدب

بقلم زكي الجابر

- ١ -

في اعتقاد كاتب هذه المقالة ان الجماهير العربية على امتداد ارضها لم تتكون لديها بعد الايديولوجية التي تشكل الضمان الاقوى في المعركة ، وتكون الصخرة المنيعة التي تتلاشى عند اقدامها تيارات العدو الاعلامية . وفي اعتقاده ايضا ان الاعلام العربي لا زال في حاجة الى حرارة الصدق ودفء الصراحة .. وان اجهزة الحكم لم تنهض بعد بواجب توفير فرص التعليم لكل المواطنين .. وان ذلك يعني حرمان الجماهير من مصدري التثقيف بمعناه الواسع والاعلام بمعناه الدقيق ، مما يؤدي الى ابتعادها عن المشاركة في القرارات التي تواجه قضاياها المصيرية وان تعيش الدور السلبي الذي يهيء المناخ الملائم للتسامح في تقبل رموز العدو وانماط سلوكه .

والمهمة العظيمة التي تنتصب امامنا تتمثل في جانبين اولهما توعية الجماهير بصورة تجعلها قادرة على وعي ابعاد المعركة وتطور ظروفها وتصاعد احداثها وتمكنها من التعامل الحصيف المدرك مع اجهزة الاعلام ، اما ثانيهما فالحفاظ على شعلة الحماس المقدس متأججة في دماء الشعب .

- ٢ -

ولتحقيق هذه المهمة لا بد من الاتجاه الى ما يمكن ان يطلق عليه (أدب الاعلام) او « اعلامية الادب » ، والذي تحدد الصحافة والمسرح والاذاعة والسينما والتلفزة وسائل ينقل عبرها هذا الادب . غير ان هناك مشكلات اساسية تواجه الصحافة والمسرح تجعل اثرهما محدودا بالقياس الى الوسائل الاخرى . ففي الصحافة تقف امامنا مشكلة خطيرة هي قلة القراء بسبب من انتشار الامية من جهة ، وضعف القدرة الشرائية لدى ابناء الشعب من جهة اخرى . وفي المسرح تتجلى صارخة مشكلة قلة الجمهور الذي تتسعه اية دار للعرض بالقياس الى الجمهور الذي يتوجه اليه القول عن طريق الوسائل الاخرى .

والكتابة للسينما والاذاعة والتلفزة تحتاج الى دربة خاصة لا بد ان يدرسها ويمارسها ادباؤنا لكي يتمكنوا من النجاح عند ممارسة عملية التوعية .

ان الاديب يمكن ان يحقق كثيرا من النجاح لو استطاع ان يدرك :

اولا : طبيعة هذه الوسائل وكيفية معالجة مشكلة الزمان والمكان اللذين تقع فيهما الاحداث .

ثانيا : معالجة التصميم او التخطيط الذي يبنى عليه النصر .

ثالثا : مذاهب الانتاج السينمائي وانواع برامج الاذاعة والتلفزيون (١) .

ان كل ذلك يقتضي التعرف على صفة الكتابة للاذاعة والسينما والتلفزيون ، وعلى الخطوات التي ينبغي اتباعها عند الاقتباس او الاعداد . ان هذه الاجهزة مجاري كلمات ، ولا بد من تغذيتها عن طريق الاقتباس او الاعداد . وهو أمر لا تقل أهميته بأية حال عن الكتابة بصورة مباشرة .

- ٣ -

وسيجابه الادباء مشكلة تخطي الشكل الرفيع « النبيل » الذي كنا نتصوره للادب الى شكل آخر تتذوقه الجماهير وتألفه . ان هذا التخطي قد يعني تخطينا لقيم الجمال السائدة في الاداب الرفيعة .. بل قد يذهب البعض الى القول باستحالة الجمع بين جودة الانتاج واذاعته على مستوى الجماهير — كل الجماهير — بالرغم من ذلك فاننا نذهب الى ان هذا التخطي بات ضرورة ، وان (ادب الاعلام) اصبح امرا لا مناص منه . واننا لننتظر من ادبائنا « الكبار » من يقوم منهم بكتابة تمثيلية للتلفزيون مقتبسة من خبر نشرته احدى الصحف اليومية ، وان تنجز كتابتها عن ادراك لصنعة الكتابة للتلفزيون . وما اكثر هذه الاخبار التي يمكن استيحاؤها . ما اكثر اخبار الهزيمة في ٥ حزيران ، واما اروع ما نقل عن استشهاد (مازن ابو غزالة) والعديد من رفاقه ، وما اشد نقاوة الدماء التي نزفها الشهيد « محسن » على مطار زيوريخ .. والتي لا زالت تنتظر انعكاسها على الحبر والورق وموجات الاثير .

واذا كان هناك من أصرار على الادب « النبيل » ، فهل هناك أدب أشد « نبلا » من ذلك الذي يدفع بالجماهير الى ان تبقى في جحيم المعركة لن يفل عزيمتها النابالم ، ولا سموم الحرب النفسية التي تحملها اجنحة الاشاعات وحملات الهمس . لقد كتب ديستويفسكي في

(١) روثا ، بول ، العمل التلفزيوني ، النص التلفزيوني . سونيون ادثر . ترجمة تماضر توفيق ص ٥٠ .

الجريمة والعقاب نصا رائعا عن النبل يقول فيه : ما معنى « نبيل » انني لا افهم معنى هذه الكلمة عندما تستعمل في وصف عمل انساني « اكثر نبلا » ، « اكثر شهامة » ، ان كل هذه ليست الا حماقات ، تقاليد باليه ارفض الاستماع اليها ! ان كل ما هو نافع للانسانية هو وحده النبيل (١) .

- ٤ -

والكاتب الذي يتعامل مع هذه الاجهزة ينبغي ان تتمثل امامه ثلاثة جوانب : الجمهور واللغة ونفسه بما فيها من مشاعر وما يتشابك مع هذه المشاعر من أفكار . وهو يحتاج في سبيل مواجهة ذلك الى ان يبذل جهدا خاصا في التعرف على الجمهور والمبادىء السيكولوجية والاجتماعية التي تتحكم فيه . وليس مطلوبا من الجمهور هنا ان يسمع او يرى فحسب بل ان يفهم وان يفقه وان يتذكر ليعمل بما رأى او سمع (٢) .

واللغة ينبغي ان تتحول الى ذلك اللون السهل الذي يقرب من لغة الحديث او التخاطب مما يجعلها اكثر جذبا للانتباه .

اما الكاتب فلا بد له من تجربة غنية ومعرفة عريضة وشعور عميق وتلاحم مع النضال مما يجعله متمكنا من تجاوز حالة القلق الفردي الى قلق الجماهير ، ومن مظاهر البحث عن اجساد النساء الى النضال المتجسد في قدرة الانسان على تحقيق ذاته وذات شعبه ، ومن مناغاة أحاسيس الراحة واجتناب الالم الى معاناة الكفاح ضد الغزاة والمحتلين ، ومن العبث اللامجدي الى الالتزام بقضايا الحرية اينما كانت ، ومن دوامة ضياع الماضي وغيبوبة المستقبل الى تأصيل القومية وتثبيت انتصارات الحرية والاشتراكية . وان كل ذلك يدفع بالكاتب الى المواقع التي يمكن ان ينطلق منها لاكتشاف قضية الانسان العربي في اصفى الوانها واعمق جراحها ويتمكن آنذاك من تحويل القيم الى كلمات تنعكس فيها حياة الشعب كما استوعبها الفنان الثوري (٣) .

ولا بد من كلمة اخيرة :

ان حماسنا لادب الاعلام او (اعلامية الادب) يصحبه دائما الحذر من الوقوع في شرك الدعاية السياسية المباشرة وآنذاك يغدو الادب والفن ضربا من الالوان الاعلانية الشائهة (٤) .

بغداد — **زكي جابر**

---

(١) ديستويفسكي. الجريمة والعقاب. دار اليقظة العربية ص١٥٧

(2) Gunning, Robert. The Technique of Clean Writing, Mcgrow-Hill, 1952 .

(٣) تونغ ، ماوتسي ، احاديث في ندوة الادب والفن ، ص ٢٦ . دار النشر باللغات الاجنبية ١٩٦٨ .

(٤) ايدل ، ليون ، القصة السيكولوجية . ترجمة محمود السمرة ص ٤٥٧ ـ المكتبة الاهلية ١٩٥٩ .

مذكرات مالكولم X

زعيم الزنوج المسلمين في اميركا

في نيسان ١٩٦٥ ، اغتيل مالكولم x زعيم الزنوج المسلمين في اميركا . وقد كان وسيبقى واحدا من اشجع زعماء الحركة الزنجية في اميركا واكثرهم اصالة وابعدهم شهرة . وقبل ان يقتل بعدة أشهر (وكان يتوقع ذلك) املى على الصحفي «الكس هالاي» سيرته الذاتية التي هي اعجب سيرة لزعيم !

ذلك ان مالكولم x لا يخفي في سيرته شيئا من اسرار حياته ، بل يتحدث بكل صدق عن شبابه في الكوخ الذي كان يعيش فيه في حي « هارلم » حيث كان يتعاطى المخدرات والخمر ويمارس السرقة والسلب ويعيش عيشة الانحلال . وفي السجن الذي قادته اليه اعماله اللصوصية ، اكتشف فجاة السقوط الذي يعيش فيه ويعيش فيه كذلك كل افراد شعبه الزنوج . وهناك اعتنق الاسلام وانضم الى « امة الاسلام » ليكرس حياته كلها فيما بعد لمقاومة «الشيطان الابيض» المسؤول عن سقوط الزنوج في اميركا .

ويتحدث مالكولم x في مذكراته الرائعة عن حياة السود ومشاكلهم والتمييز العنصري الذي يمارسه عليهم البيض من الاميركيين ، وعن تمردهم وثورتهم التي نشاهد اليوم بعض مظاهرها في عدد من مدن اميركا الكبرى ، ويحلل في نفاذ وعمق الظروف السياسية والنفسيه التي يعيش فيها الزنوج الاميركيون ، وعن ايمانه بالاسلام كدين يحارب التمييز ويدعو الى الاخوة الحقيقية بين الشعوب والامم .

وقد وصف روبرت كندي هذا الزعيم بانه الوحيد بين زعماء الزنوج الاميركيين الذي يملك « مغنطيسية » عجيبة !

مذكرات رائعة مؤثرة عن حياة مضطربة عجيبة لرجل عبقري يعتبر شاهدا على فترة خطيرة من تاريخ الزنوج الاميركيين الذين يكافحون من اجل تحريرهم، ويقفون بصلابة في وجه سياسة اميركا المخادعة .

صدر حديثا ـ الثمن ٥٥٠ ق.ل